هَدْيُ القرآن الكريم

إلىٰ الإيمان بأن محمداً رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)
من الصفحة ١٠٢ حتى الصفحة ١١٠

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

هدي القرآن الكريم إلىٰ الإيمان
بأنَّ محمَّداً رسُول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم

قال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ الآية. صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ففي هذه الآيات الكريمة وأمثالها، يهدي الله تعالىٰ العباد، بمعنىٰ أنه يبين لهم ويدعوهم إلىٰ الإيمان بأن محمداً رسول الله، أرسله الله تعالىٰ بالهدى ودين الحق، الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة.

ثم إن الله تعالىٰ يَذكر في كثير من الآيات القرآنية ـ حَسَب المناسبات ـ يذكر جملةً كثيرةً من البيِّنات القطعية التي تثبت أن

محمداً هو رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حقاً ، دون شك ولا ارتياب.

وها أنا أذكر بعض ذلك ، بحيث يستنير للباحث طريق بحثه إذا أراد التوسع. إن شاء الله تعالىٰ.

البَيِّنات من الهُدى التي تُثبت قطعاً أنَّ محمداً رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

إنَّ القرآن الكريم لمَّا هدىٰ الناس إلىٰ الإيمان بأن محمداً رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، ودعاهم إلىٰ ذلك: أتاهم بالبيِّنات الساطعة ، لتكون الدعوة قائمةً علىٰ الحجة القاطعة ، بحيث لا يبقىٰ سبيل إلىٰ التردّد أو الشك في حَقِّيَّةِ رسالة سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، وبذلك يكون الإيمان إيماناً كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ الآية.

فقد جمع الله تعالىٰ للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنواع البينات القاطعات ، التي تُثبت أنه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، حتىٰ إنَّ الله تعالىٰ سمَّاه البينةَ ، لأنه مَجْمع كلِّ بَيِّنة ، قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآيات.

فَمِنْ بينات الهَدْي القرآني ، إلىٰ الإيمان بأن محمداً رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، هو تحدِّي العالَم أن يأتوا بمثله.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الآية.

وقد جاء التحدِّي علىٰ مراحل:

فقد تحدَّاهم أولاً أن يأتوا بحديث مثله ، قال تعالىٰ في سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.

والمعنىٰ: إنْ كان القرآن كما يقولون أنَّ محمداً صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تقوَّله علىٰ الله تعالىٰ ، وأنه ليس كلام الله تعالىٰ ، فليأتوا بحديثٍ واحدٍ من أحاديثِ القرآن إن كانوا صادقين في دعواهم ، فإذا كان محمد صلَّى الله عليه وآله وسلم قادراً علىٰ أن يتقوَّله ـ كما يقدر الإنسان علىٰ أن يتكلم بكلام بليغ وفصيح ، من نظم أو نثر ـ فإنه من الممكن أن يأتوا بحديثٍ مثله ، كما أمكنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ثم تحدَّاهم بعشر سُوَرٍ مثله ، قال تعالىٰ في سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

ثم تحدَّاهم بسورة واحدة منه ، قال تعالىٰ في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وهذه التحدِّيات كانت في مكة المكرمة ، فَإنَّ هذه السور هي مكية: سورة الطور ، ويونس ، وهود.

ثم أعلن لهم عجزهم ، بل عجز الإنس والجنّ جميعاً عن أن يأتوا بمثله ، فقال تعالىٰ في سورة الإسراء ـ وهي مكية ـ: ﴿قُل لَّئِنِ

ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

فأمر الله تعالىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يَعمَّ بهذا الخبر، معلناً به لجميع الخلائق، معجزاً لهم، قاطعاً بأنهم إن اجتمعوا كلهم، وتعاونوا وتظاهروا علىٰ أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله قطعاً، وهذا التحدِّي والدعاء عامّ لجميع الإنس والجن إلىٰ يوم الدين، وقد سمعه كُلُّ من سمع القرآن، وعرفه الخاصُّ والعامُّ، ومع ذلك فَإنهم لم يستطيعوا أن يعارضوه، ولا أن يأتوا بسورةٍ مثله.

ثم إنه سبحانه وتعالىٰ أعاد التحدي في المدينة المنوَّرة بأنوار المصطفىٰ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، بعدما هاجر إليها، فقال سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

فلقد تحدَّاهم سبحانه في هذه الآيات الكريمة، ثم نَبَّههم وحثَّهم علىٰ التذكر والتفكر، فأورد لهم أمرين هامَّين ينبغي لهم أن يفعلوهما ويتبصَّروا فيهما:

أحدهما قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ أي: لم تستطيعوا بعد بذل جهودكم بجموعكم وجماهيركم، لم تستطيعوا الإتيان بسورة من مثله، قال لهم سبحانه من بعد ذلك: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ والمعنىٰ: فَإن لم تفعلوا وعجزْتم، فقد علمتُم أنه كلام الله تعالىٰ، وليس بكلام مخلوق، فخافوا الله تعالىٰ أن تُكذبوا به، فَيَحِيق بكم

العذاب الذي وعد الله تعالىٰ به المكذبين ، واعلموا أن الكلام كلام الله تعالىٰ ، وأن محمداً حقاً هو رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

والأمر الثاني قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ فسجَّل عليهم العجز عن الإتيان بمثله في المستقبل ، كما أنهم عجزوا في الحال ، وفي هذا عَلَم من أعلام نبوة سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم ، فإنه من باب الإخبار عن المغيبات ـ والأمر كما أخبر.

وإنَّ الكلام علىٰ وجوه إعجاز القرآن الكريم يحتاج إلىٰ مصنفات واسعة ، وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالىٰ وجزاهم الله تعالىٰ خيراً وجوهاً متعددة للإعجاز ، كلٌّ حسب ما وصل إليه وفتح عليه.

فالقرآن معجز من حيث أساليبه البلاغية ، ونظمه الذي لا يشبه نظم الرسائل والخطب ، ولا النثر المعروف عند الفصحاء ولا الشعراء.

والقرآن معجز من حيث المعاني التوحيديَّة ، وبيانه قضايا الإلٰهيَّات ، وتعريفه بالله تعالىٰ وأسمائه وصفاته ، وكمالاته وأفعاله جلَّ وعلا. وما يشتمل عليه ذلك من تسبيح الله تعالىٰ ، وتحميده وتمجيده وتقديسه ، وعبادته ودعائه وطاعاته.

والقرآن معجز من حيث المعاني التشريعية التي جاء بها من الأوامر أو النواهي الإصلاحية ، التي فيها سعادة العَالم ، فهو معجز في تشريعه وأحكامه ، التي هي مقتضىٰ حكمته سبحانه ، وهي مشتملة علىٰ مصالح الأنام ومكارم الأخلاق ، ومحاسن

الشيم ، وكمال الآداب ، وحسن العشرة ، وحسن المعاملة.

والقرآن معجز من حيث مواعظه وأمثاله ، وإثباته بالوعد والوعيد ، والترهيب والترغيب.

والقرآن معجز في قَصَصه الذي قصَّه ، المشتمل علىٰ أنباء الأمم الماضية ، وما اشتمل عليه ذلك من بِعثة الرسل ، ومواقفها مع الأمم الماضية ، ومواقف الأمم معهم ، وعواقب الصالحين والفاسدين ، والمسلمين والكافرين.

والقرآن معجز من حيث تعليمه المناظرات ، وإبراز الحجج الدامغة البالغة ، وأدلته القاطعة علىٰ وجود الله تعالىٰ ووحدانيته ، وصدق نبوة سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم.

والقرآن معجز من حيث إخباراته الغَيبية عمَّا مَضىٰ ، وعما هو آت ، وإخباره عن العوالم الملكية والملكوتية ، وعالم الملائكة وأوصافهم ووظائفهم ، وعن عالم الجن وأنواعهم ومراتبهم.

والقرآن معجز من حيث إنباؤه عن بدء الخلق عامةً ، وبدء خلق الإنسان خاصةً ، وأطوار تخليقه ، وإنباؤه عن القيامة وما فيها من الحشر والنشر ، ومن عالم الموقف والسؤال والحساب والميزان ، وأخذ الكتب ، والقصص ، والصراط ، والحوض ، والجنَّة ، والنار ، وحال أهل الجنَّة جعلنا الله تعالىٰ منهم ، وعن حال أهل النار أعاذنا الله تعالىٰ العظيم منها.

والقرآن معجز من حيث العلوم والمعارف التي جاء بها ، التي لا تُحدد ولا تستقصىٰ ، ولا تنقضي عجائبها ، ولا يزال يظهر للعقلاء والعلماء وجوه من إعجازه ووجوه ، ولذلك قال عبد الله:

إن من إعجاز القرآن: العجز عن إحصاء وجوه إعجازه ، بل إن من إعجاز القرآن العجز عن استقصاء الوجه الواحد من وجوه إعجازه.

وخذ مثالاً واحداً علىٰ إعجازه البلاغي حول آية واحدة من آياته الكريمة ، يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

فقد ذكر ابن أبي الأصبع أَنَّ في هذه الآية الكريمة عشرين ضَرباً من البديع ، مع أنها سبعَ عشرة كلمة ، وذلك للمناسبة التامَّة في ﴿ ٱبۡلَعِي ﴾ و﴿ أَقۡلِعِي ﴾ ووجود الاستعارة فيهما.

والطباق بين الأرض والسماء.

والمجاز في قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَٰسَمَآءُ ﴾ فَإن المنادىٰ الحقيقي: يا مطر السماء.

والإشارة في: ﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ فَإنه عبَّر به عن معانٍ كثيرة ، لأن الماء لا يغيض حتى يُقلع مطر السماء ، وحتى تَبلعَ الأرض ما يخرج منها ، فينقص ما علىٰ وجه الأرض من الماء.

والإرداف في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾.

والتمثيل في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾.

والتعليل أيضاً ، فَإن غَيض الماء علة للاستواء.

وصحة التقسيم: فَإنه استوعب أقسام الماء حال نقصانه.

والاحتراس في الدعاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لئلا يتوهَّم أَنَّ الغَرَقَ لعمومه شَمل من لا يستحق الهلاك ، فَإنَّ عدْله تعالىٰ يمنع من ذلك.

وحسن النسق وائتلاف اللفظ مع المعنىٰ.

والإيجاز فَإنه سبحانه قصَّ علينا هذه القصة مستوعبةً بأوجز عبارة.

والتسهيم لأَنَّ أول الآية يدل على آخرها.

والتهذيب لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحُسن.

وحسن البيان من جهة أَنَّ السامع لا يتوقف في فهم معنىٰ الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه.

والتمكين لأن الفاصلة مستقرة في محلِّها، مطمئنة في مكانها.

والانسجام التامُّ. اهـ.

وزاد العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالىٰ بَعد أن نقل هذا عن ابن أبي الأصبع: الاعتراض.

وزاد آخرون أشياء كثيرة، وقد ألَّف بعض العلماء الأفاضل رسالةً خاصة في هذه الآية الكريمة، وجمع فيها ما ظهر له ووقف عليه من مزاياها وبدائعها، فبلغ ذلك مائة وخمسين مزيَّة.

وقد تكلم كثير من كبار علماء البلاغة حول هذه الآية الكريمة، وما فيها من وجوه البيان والمعاني والبديع، وأجادوا وأفادوا، ولكنهم ما أحاطوا بما هنالك، وإنَّ وراء تلك الوجوه التي ذكروها وُجوهاً، ووجوهاً لا غايةَ لها ولا انتهاء.

وذلك لأنَّ جميع ما ذكروه من وجوه البلاغة، إنما هو علىٰ حسب قوانين بلاغة كلام العظماء والبلغاء والحكماء والعلماء، وعلىٰ حسب أساليب قواعدهم ومعارفهم، ولكنهم عباد من خلق

الله تعالىٰ ، محدودون في علومهم وحكمتهم ، وبلاغتهم ، وأساليب كلامهم.